@ 433 @ ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون * وقضينآ إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلآء مقطوع مصبحين * وجآء أهل المدينة يستبشرون * قال إن هؤلآء ضيفي فلا تفضحون * واتقوا ا ولا تخزون * قالوا أولم ننهك عن العالمين * قال هؤلآء بناتي إن كنتم فاعلين * لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون * فأخذتهم الصيحة مشرقين * فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل * إن في ذلك لآيات للمتوسمين * وإنها لبسبيل مقيم * إن في ذلك لآية للمؤمنين) ^ أي : ^ (قال) ^ الخليل عليه السلام للملائكة : ^ (فما خطبكم أيها المرسلون) ^ ، أي : ما شأنكم ، ولأي شيء أرسلتم ؟ ^ (قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين) ^ أي : كثر فسادهم ، وعظم شرهم ، لنعذبهم ونعاقبهم ، ^ (إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين) ^ أي : إلا لوطا ، وأهله ^ (إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين) ^ أي : الباقين ، بالعذاب ، وأما لوط ، فلنخرجنه وأهله ، وننجيهم منها : فجعل إبراهيم ، يجادل الرسل في إهلاكهم ، ويراجعهم ، فقيل له : ^ (يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود) ^ فذهبوا عنه . ^ (فلما جاء آل لوط المرسلون قال) ^ لهم لوط ^ (إنكم قوم منكرون) ^ أي : لا أعرفكم ولا أدري من أنتم . ^ (قالوا : بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) ^ أي : جئناك بعذابهم الذي كانوا يشكون فيه ، ويكذبونك حين توعدهم به ، ^ (وأتيناك بالحق) ^ الذي ليس بالهزل ^ (وإنا لصادقون) ^ فيما قلنا لك . ^ (فأسر بأهلك بقطع من الليل) ^ أي : في أثنائه حين تنام العيون ، ولا يدري أحد عن مسراك ، ^ (واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد) ^ أي : بادروا وأسرعوا ، ^ (وامضوا حيث تؤمرون) ^ كأن معهم دليلا يدلهم إلى أين يتوجهون . ^ (أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) ^ أي : سيصبحهم العذاب الذي يجتاحهم ويستأصلهم ، ^ (وجاء أهل المدينة) ^ أي : المدينة التي فيها قوم لوط ^ (يستبشرون) ^ أي : يبشر بعضهم بعضا ، بأضياف لوط ، وصباحة وجوههم واقتدارهم عليهم ، وذلك لقصدهم فعل الفاحشة فيهم ، فجاؤوا حتى وصلوا إلى بيت لوط ، فجعلوا يعالجون لوطا على أضيافه ، ولوط يستعيذ منهم ويقول : ^ (إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون . واتقوا ا ولا تخزون) ^ أي : راقبوا ا أول ذلك ، وإن كان ليس فيكم خوف من ا ، فلا تفضحون في أضيافي ، وتنتهكوا منهم حرمتهم بفعل الأمر الشنيع . و ^ (قالوا) ^ له جوابا عن قوله ولا تخزون فقط : ^ (أو لم ننهك عن العالمين) ^ أن تضيفهم ، فنحن قد أنذرناك ، ومن أنذر فقد أعذر ، ^ (قال) ^ لهم لوط من شدة الأمر الذي أصابه : ^ (هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين) ^ ، فلم يبالوا بقوله ، ولهذا قال ا لرسوله محمد

صلى ا عليه وسلم : ^ (لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون) ^ وهذه السكرة ، هي سكرة محبة الفاحشة ، التي لا يبالون معها بعذل ولا لوم . فلما بينت له الرسل حالهم ، زال عن لوط ما كان يجده من الضيق والكرب ، فامتثل أمر ربه وسرى بأهله ليلا ، فنجوا ، وأما أهل القرية ^ (فأخذتهم الصيحة مشرقين) ^ أي : وقت شروق الشمس ، حيث كانت العقوبة عليهم أشد ، ^ (فجعلنا عاليها سافلها) ^ أي : قلبنا عليهم مدينتهم ، ^ (وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل) ^ ، تتبع فيها من شذ من البلد . ^ (إن في ذلك لآيات للمتوسمين) ^ أي : المتأملين المتفكرين ، الذين لهم فكر وروية وفراسة ، يفهمون بها ما أريد بذلك ، من أن من تجرأ على معاصي ا ، خصوصا هذه الفاحشة العظيمة ، أن ا سيعاقبهم بأشنع العقوبات ، كما تجرؤوا على أشنع السيئات . ^ (وإنها) ^ أي : مدينة قوم لوط ^ (لبسبيل مقيم) ^ للسالكين ، يعرفه كل من تردد في تلك الديار ^ (إن في ذلك لآية للمؤمنين) ^ ، وفي هذه القصة من العبر : عنايته تعالى بخليله إبراهيم ، فإن لوطا عليه السلام ، من أتباعه ، ومن آمن به فكأنه تلميذ له ، فحين أراد ا إهلاك قوم لوط ، حين استحقوا ذلك ، أمر رسله أن يمروا على إبراهيم عليه السلام ، كي يبشروه بالولد ، ويخبروه بما بعثوا له ، حتى إنه جادلهم عليه السلام في إهلاكهم ، حتى أقنعوه ، فطابت نفسه . وكذلك لوط عليه السلام ، لما كانوا أهل وطنه ، فربما أخذته الرقة عليهم والرأفة بهم ، قدر ا من الأسباب ، ما به يشتد غيظه وحنقه عليهم ، حتى استبطأ إهلاكهم لما قيل له : ^ (إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب) ^ ، ومنها : إن ا تعالى ، إذا أراد أن يهلك قرية ، زاد شرهم وطغيانهم ، فإذا انتهى ، أوقع بهم من العقوبات ما يستحقونه . ^ (وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين * فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين * ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين * وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين * وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين * فأخذتهم الصيحة مصبحين * فمآ أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) ^ وهؤلاء قوم شعيب ، نعتهم ا وأضافهم إلى الأيكة ، وهو : البستان كثير الأشجار ، ليذكروا نعمته عليهم ، وأنهم ما قاموا بها ، بل جاءهم